

التماسك النصي عنصر السبك المعجمي

في سورة الحديد أنموذجا

م. د. عبد الناصر هاشم محمد الهيتي

جامعة الانبار - كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية

ملخص باللغة العربية:

تُعد قضية التماسك النصي وعناصره وأدواته من أهم قضايا علم النص الحديث، ذلك أن التماسك - مستعينا بمجموعة الأدوات والإجراءات والأنظمة - يحقق ما يسميه علماء النص بـكَلِيَّة النص. ومن بين تلك الأدوات التي تحقق التماسك النصي، عنصر السبك المعجمي الذي يضمن - مع باقي الأدوات - التواصل داخل النص واستمرارية الأحداث والوقائع المختلفة التي يُعمدُ إلى توظيفها في النص الواحد لخدمة الفكرة المركزية التي تسيطر عليه. فكان هذا البحث أنموذجا لقراءة هذا العنصر المهم؛ لتجلية حقيقته ولمعرفة طبيعة عمله المزوجة داخل النص من خلال تطبيقه على نص قرآني تمثل في سورة الحديد.

Abstract

Text coherence – Lexical coherence Element

The text coherence, elements and tools, are considered the most significant issues of the modern text science, whereas it, depending on some tools, procedures and rules, achieves what the recent scholars of text call the wholeness of text. The element of lexical coherence is one of those tools which ensures the text continuity and succession of its various sections and incidents involved in it. These elements are meant to be used inside the text to benefit the central idea. It is inevitable to set rules for this element and also to make an application which achieves them. So, this is a model research for careful reading of this element in a chosen Quran text represented in Hadeed Sura.

• مقدمة ..

إن من أهم الدوائر التي تُعنى بها الدراسات النصية الحديثة دائرة البحث في تماسك النص، ولهم في طريقة تناولها إجراءات متعددة تبرز في مظاهر مختلفة^(١). منها التماسك النحوي الذي ينطوي على أدوات كثيرة منها، الإحالات بالضمائر وغيرها، والحذف، والروابط الشكلية كحروف العطف، وأسماء الإشارة... الخ، ومنها التماسك الدلالي الذي يقوم على الربط المعتمد على نوع العلاقات الدلالية التي تجمع بين عناصر النص المتتابعة ووقائعه وفقراته، ومنها التماسك السياقي التواصلي الذي يشمل الإطار اللغوي والإطار الخارجي المتعلق بالمتكلم أو المتلقي أو النص، ومنها - وهو قضية البحث - التماسك المعجمي الذي يقوم على فكرة إبراز عناصر معجمية تظهر على السطح، تقوم بدور عنصر الربط بين مقاطع النص ووقائعه وفكرة النص المركزية، فضلا عن دورها في التفاعل عبر النسق اللغوي الذي ترد فيه مع عناصر ذلك النسق وموضوعه الخاص. وينطلق علماء النص بدراسة هذه الإجراءات في النص من خلال التابع الهرمي الذي يبدأ بالبنى الصغرى ثم ينتقل إلى دراسة العلاقات بين الجمل بعضها ببعض ثم بين الفقرات ثم في النص بأكمله^(٢)، وفي بحثهم هذا تجدهم يرومون إلى وصول بديع لكلية ووحدة فنية دلالية وشكلية في النص التي تعد في نظرهم قمة الإبداع وروعة التأليف. ولم يكن هذا الهدف جديدا بالنسبة إلى دارسي النص القرآني وباحثي إعجازه، فقد سبق إلى ذلك الإمام الرازي في تفسيره إذ يقول عند تفسير سورة البقرة: (ومن تأمل في لطائف هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك)^(٣)، ولاغرو أن عدَّ الإمام السيوطي ترابط القرآن في السور والآيات وغيره وجها من وجوه الإعجاز، جاء في معترك الأقران: إن من وجوه إعجازه: (مناسبة آياته وسوره، وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسفة المعاني منتظمة المباني)^(٤)، ولما للنص القرآني من أهمية في مجالات البحث رأيت أن اختار سورة الحديد أنموذجا لتطبيق إجراءات التماسك النصي من خلال احد عناصره، وهو عنصر السبك المعجمي.

• عناصر الربط ..

(عنصر السبك المعجمي)

تتضافر عناصر السبك عامة مع عنصر السبك المعجمي لتحقيق تماسك النص والتحام أجزائه، وعنصر السبك المعجمي يعرف بأنه: (العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتاليات النصية، وهي علاقة معجمية خالصة بحيث لا تقتصر إلى عنصر نحوي يظهرها)^(٥)، وتظهر هذه العلاقات المعجمية في أشكال مختلفة متعددة يجمعها مظهران بارزان.

الأول: التكرار (repetition) ويظهر على سطح النص من خلال (إعادة عنصر معجمي ما، أو مرادفه أو شبهه، أو عنصر مطلق أو اسم عام)^(٦)، ومن أشكال الربط بهذه العناصر: أن يكرر لفظ ويقصد الإيماء به إلى معنى سابق ذي علاقة متحدة أو متقاربة بالمعنى الجديد المتحدث عنه، أو يكرر اللفظ ذاته الذي سبق ذكره ولكن يقصد به معنى آخر مختلفا كما مثل له القرويني بالمثل المشهور (سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل)^(٧)، أو تكرار المعنى مع اختلاف اللفظ المعبر عنه، وقد وصفه علماء النص بأنه (تعبيرات استبدال سبقت صياغتها في النظام، قابلة للتوسع أحيانا أيضا)^(٨)، أو هي (ألفاظ متحدة المعاني وقابلة للتبادل بينها في أي سياق)^(٩)، وتكمن أهمية هذا النوع من التكرار في كون هذه المفردات متحققة في النص فعلا وهي التي أعيد تعيينها من خلال المتكررات المعنوية، وهذا يعمد إليه المؤلف لتأكيد فكرة ما أو إثباتها أو الحث عليها^(١٠).

وهناك صور متعددة للربط بالتكرار كالتفصيل بعد الإجمال أو عطف المضاد على مضاده أو تكرار تراكيب وجمل وما إلى ذلك.

الثاني: المصاحبة اللغوية (collocation)، وهي علاقات أفقية تجمع بين لفظين متجاورين أو متباعدين لوجود مناسبة بينهما^(١١)، وتتمثل هذه المناسبة بالاشتراك في السمات الدلالية أو شيوع الاستعمال أو التضاد أو التدرج التسلسلي أو علاقة الجزء بالكل أو التلازم الذكري أو الاشتمال^(١٢)، وقد وجه الفيلسوف الألماني (فتجنشتان) النقد إلى عنصر التماسك المعجمي بين كلمات نص ما، بان الكلمات ليس لها معان، وإنما لها استعمالات، وعلى هذا لا تبحث عن الكلمة بل ابحت عن استعمالها^(١٣)، ويرى أيضا أن لا دور لهذا العنصر في التماسك على مستوى النص ما دامت العلاقات فيما بينها بعيدة عن سياقها. ويحدد بعض الباحثين لهذا العنصر مجالا محددًا هو الاتساق في القصة فحسب إذ لا تخلو هذه الطريقة من فائدة في هذا الميدان وان اختلفت معاني الكلمات المعينة بالبحث وتغيرت بتغير السياقات^(١٤)، والذي يظهر لي انه لا تناقض بين الرأيين؛ لان النص عند تحليله ينظر إليه من زوايا عدة، مستوى التماسك الشكلي، والتماسك الدلالي، والتماسك الخارجي السياقي ولا مانع من الإفادة من العلاقات التي تتضافر على المستوى المعجمي إذ هي تختلف عن العلاقات الدلالية والسياقية، كما انه من اليسير إضافة بُعد جديد يمكن تسميته بتعاقب المفردات بما يؤدي في النهاية إلى إحداث التماسك في النص.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن من يمعن النظر في تفصيلات العنصر المعجمي النظرية والتطبيقية يجد أنها تلتقي بشكل كبير يصل إلى حد المطابقة مع نظرية الحقول الدلالية، وان

كانت تطبيقات كل منها قد تختلف من جهة هدف كل باحث أو محل انطلق من الحقل الدلالية، أو انطلق من النظر إلى التماسك من خلال العناصر المعجمية.

• النص .. مقاطع ووقائع.

كل نص لغوي تحكمه علاقات لغوية شكلية ودلالية وسياقية، تعمل هذه العلاقات على تحقيق تماسك النص من خلال ربط مفرداته في تراكيبها، وتراكيبه في أنساقها، وفقراته ومقاطعته ووقائعه، وقد اتفقت كلمة المحدثين من العلماء النص على أن الدراسة النصية الحديثة تنطلق من اعتبار النص (وحدة متكاملة)^(١٥)، وتحاول ان تقدم أشكالاً مطردة من صور الانتظام والتماسك، ومهمة هذه الدراسات تتمثل في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وهي تنظر إلى النص على انه (تتابع متماثل من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أي وحدة لغوية أخرى أشمل، أي ان النص هو اكبر وحدة لغوية)^(١٦)، والذي ينظر في النص القرآني ويقراً السورة منه يجد نفسه أمام مقاطع مختلفة متشابكة تتألف منها السورة الواحدة، ويجد أيضاً اختلافاً في الموضوعات التي تطرق في كل مقطع، ويصل في أول وهلة إلى القول بأن ليس هناك ترابط أو انسجام بين تلك المقاطع، ولكن القراءات المتأنية الطويلة تجعله يصل إلى نتيجة مفادها أن (التماسك النصي يتجلى في الحالات التي قد يبدو فيها النص مفككا من السطح، لكننا لا نلبث أن نتبين وراءه بنية عميقة محكمة في تماسكه تفسر تشاكل الأجزاء وتضمن اتساقها مع تشنتها الخارجي)^(١٧)، وكذلك الحال بالنسبة لوقائعه التي تبدو متناثرة متباعدة، يظهر اتساقها من خلال تلك البنية، يقول دي بيو جراند (إن الحفاظ على استقرار النص بصفته نظاماً يتم من خلال استمرار وقائعه ... بوجود ارتباط بين مختلف وقائع النص من جهة وسياق استغلاقه من جهة أخرى ... إن لكل واقعة قيمة بصفنتها وسيلة في التوصل إلى بعض الوقائع الأخرى)^(١٨)، وقد يعتمد اكتشاف تلك البنية التي تفسر اتساق المقاطع والوقائع في النص، على بعض المفاهيم مثل: المفاهيم المنطقية والدلالية ومجموعات الحقول الموضوعية المركبة وطبيعة علاقات الترميز الأدبي^(١٩)، وإن من أهم ما يميز النص الخاصة البنوية المتمثلة في التنظيم الداخلي لبنية النص إذ إن بروزها شرط أساسي لتكوين النص لأنه ليس مجرد متوالية، ومن خلالها تظهر كل عناصر الربط التي تحقق ذلك التماسك المنشود، ومن بينها عناصر السبك المعجمي التي لا يخلو منها مقطع أو متوالية أو واقعة في النص^(٢٠).

• سورة الحديد

(المقاطع)

إن تقسيم النص القرآني -السورة- إلى مقاطع يعتمد على قدرة القارئ -مستعينا بوجهات نظر المفسرين وغيرهم- على تحديد فكرة النص العامة ثم من خلالها يحدد الموضوعات الجزئية التي تتناولها متتاليات النص، ثم الدقة في تقسيم النص إلى مقاطع. والفائدة من تحديد مقاطع النص تكمن في دراسة القضايا الجزئية التي يعالجها النص في إطار قضيته الكبرى أو فكرته المركزية التي تنتظم جميع أجزاء النص، وبالتالي فإن من مهمات محلل النص ان يقف على العناصر المهمة في كل مقطع والتي تعد عناصر الارتباط بين المقطع والمقاطع الأخرى من جهة، وبينه وبين الفكرة المركزية من جهة أخرى والتي في النهاية تصل إلى أن المقاطع لا يمكن أن نجزئها عن النص بأكمله، والفكرة تتمحور في وحدة الموضوع، فالقرآن هو عبارة عن كل والآية جزء من سورة، والسورة جزء من القرآن فلا يمكن الفصل وتحليل جزئية دون الارتباط بجزئها الآخر.

• الفكرة في سورة الحديد

الذي يقرأ سورة الحديد يجد ان عنوانها (الحديد) يحيل ويرمز إلى الآية رقم (٢٥) التي ورد فيها لفظ الحديد، فإذا قرأناها: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ نجده يرمز فيها إلى عنصر مهم يُعْنُون لموضوع (النصرة لله ورسوله في الجهاد) فكأنه (نزل منزلة الآيات الناصرة لله ورسوله، على انه سبب لإقامة العدل كالقرآن، وأيضا: انه جامع للمنافع فأشبهه أيضا، فسميت سورة ذكر فيها ذلك)^(٢١)، وإذا قرأنا السورة من هذا المنطلق نجد أن أهم أغراضها (التحريض على الإنفاق في سبيل الله وان المال عرض زائل لا يبقى منه لصاحبه إلا ثواب ما أنفقه في مرضاة الله)^(٢٢)، فالحديد يرمز إلى النصر في الجهاد وكيف يحصل ذلك؟ يحصل ذلك من خلال الإنفاق في شراء السيوف والدروع والسهام والسنايك وكلها من الحديد، والنصرة تقتضي الجهاد والجهاد يقتضي كل ما تقدم، وان أول ما يترتب عليه النفقة^(٢٣)، ولذا نجد ان الفكرة التي تقوم عليها سورة الحديد تتمثل في قضية الإنفاق في سبيل الله القائم أو المنبعث من الإيمان بالله سبحانه، فالسورة تأمر بشيئين (الإيمان بالله والرسول والإنفاق؛ وهذان الأمران يطبعان السورة بطابعهما إلى حد كبير)^(٢٤)، ووفق هذه الفكرة يمكن تقسيم السورة إلى خمسة مقاطع هي:

١- المقدمة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ

- مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) .
- ٢- الغرض المباشر «آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) .»
- ٣- من صور القيامة وتعقيبها «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ الْمُسِدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) .»
- ٤- المثل وتعقيبه «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ
يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) ﴿﴾.

٥- الرسل والرسالات والخاتمة ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا
كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ
رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ
الْكِتَابِ أَلَّا يَفْخِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴿﴾.

• سورة الحديد

(الوقائع)

هي أحداث مختلفة تذكر في سياقات النص، توظف لخدمة الفكرة التي يطرحها النص
والأهداف الكلية والجزئية فيه. وعندما تذكر واقعة ما فيه فان بنيتها اللغوية تتسق وكلية البنية
التي تنتظم المجموع إذ إن الواقعة الواحدة - كالقصة مثلا - ترد أكثر من مرة في نصوص
مختلفة إلا أن عرضها وبنيتها يختلفان باختلاف البنية الكلية للنص الذي ترد فيه، وتضمن
عناصر للربط تختلف عنها عند ورودها في سياق آخر. ويمكن ذكر أهم الوقائع التي وظفت في
سورة الحديد كالآتي:

- ١- الحديث عن الرب ﷻ وعن بعض أسمائه وصفاته وربوبيته. من الآية ١ إلى الآية ٦.
- ٢- فتح مكة أو الحديبية ورد في الآية ١٠.
- ٣- صورة من صور القيامة من الآية ١٢-١٥.
- ٤- أهل الكتاب ورد ذكرهم في الآية ١٦ والآية ٢٧، والآية ٢٩.
- ٥- مشهد من مشاهد الكون ورد في الآية ١٧.
- ٦- المثل المضروب للحياة الدنيا ورد في الآية ٢٠.
- ٧- سنة من سنن الكون في الآية ٢٢-٢٤.
- ٨- أسماء بعض الرسل في الآية ٢٥-٢٦.
- ٩- الرهبانية في الآية ٢٦.

١٠- لفظ النور: الآيات ٩، ١٢، ١٣، ١٩، ٢٨.

وسيرد الحديث عن بعضها عند قراءة مقاطع النص بما يغني عن إعادة ذكره فيما سيفرد لقراءة بعض هذه الوقائع في هذا البحث.

• قراءة في مقاطع النص..

- **المقطع الأول..** ست آيات احتلت بها المقدمة استهلال النص، وبحسب ما تقدم ذكره من أن لكل مقطع موضوعه الجزئي الخاص به مع تناسبه وتناسقه مع الموضوع العام والفكرة المركزية، فإن موضوع المقدمة اختص بالحديث عن بعض أسماء الإله العظيم وبعض صفاته، وبعض ما يتعلق بربوبيته، لتعريف الخلق بخالقهم سبحانه، وقد تضمن موضوع المقدمة هدفين اثنين عاما وخصوصا، والعلاقة بينهما ان الهدف الخاص مبني ومنبعث من الهدف العام.

أما الهدف العام.. فتمثل بطريقة القران في عرض دلائل التوحيد المتعلقة بربوبية الله تعالى من أسماء وأوصاف وأفعال وألطف وما يتعلق بها من عرض قدرة الله تعالى وسلطانه في الكون والخلق وتدبير الشؤون وما إلى ذلك، ثم بعد تقرير ذلك يبني عليه قضية من قضايا توحيد الإلهية لتعبيد الناس له وحده دون غيره وتأكيد ضرورة التزام الأمر والنهي. وفي مقدمة هذه السورة عرض بعض تلك الدلائل بهدف استثارة الإيمان في قلوب المؤمنين خصوصا ليعملوا على تجديده ليهون عليهم تلقي ما سيأمرهم به من أمر سيطهر في الهدف الخاص، فكان (هذا المطلع بذاته وبايقاعه كافٍ ليهز القلوب هزاً، ويوقع فيها الرهبة والخشية والارتعاش كما يوقع فيها الرغبة الحية في الخلوص لله والالتجاء إليه والتجرد من العوائق والأثقال المعوقة عن تلبية الهتاف إلى الخلاص من الشح بالأنفس والأموال)^(٢٥).

وأما الهدف الخاص.. فتمثل بإبراز صفة من صفات الله تعالى وتكريرها في هذه الآيات الست، وهذه الصفة ذات علاقة مباشرة بموضوع النص وفكرته (الإنفاق). ظهر ذلك من خلال عنصر معجمي يرتبط معجميا من حيث دلالاته بالإنفاق ألا وهو لفظ (ملك) الذي جاء في آيتين مخصصا بالله سبحانه وحده دون غيره ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد ٢]، وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحديد ٥] ففي هاتين الآيتين أول ظهور لعناصر السبك المعجمي مهد بذكرهما للدخول في الموضوع مباشرة.

والجدير بالذكر ان عناصر السبك المعجمي لا تقتصر وظيفتها على الربط فحسب بل تتعداه إلى أداء وظيفتها كعناصر لغوية لها قيمتها الدلالية ضمن نسقها اللغوي الذي وردت فيه.

ولا يخفى ما تحمله لفظة (ملك) في هذا السياق من معنى أولي يرتبط معجميا بالإنفاق فهو يعد من باب المصاحبة اللغوية التي تقدم ذكرها، إذ لا تخفى المناسبة والاشتراك بين لفظة (ملك) ولفظة (إنفاق).

أما صياغة الجملتين فلها دلالة خاصة أفادت قَصْرَ الملك على الله وحده وتخصيص الله به دون غيره من خلال تقديم الخبر الذي هو الجَار والمجرور (له) على المبتدأ (ملك السموات والأرض).^(٢٦) كما (أفاد تعريف المسند - ملك السموات والأرض - قصر المسند على المسند إليه وهو قصر ادعائي؛ لعدم الاعتداد بملك غيره في الأرض إذ هو ملك ناقص فان الملوك مفنقرون إلى من يدفع عنهم العوادي بالأحلاف والجند والى من يدير لهم نظام المملكة من وزراء وقواد)^(٢٧)، وتكرار لفظ الملك يعد وجهاً من وجوه الربط والتماسك بالعنصر المعجمي، ولم يكن تكراره للتماسك فحسب بل أدى وظيفة في كل موطن ورد فيه، ففي الموطن الأول.. جاء بعد ان ذكر تسبيح من في السموات والأرض الله تعالى فأذن مضمون الجملة ﴿له ملك السموات والأرض﴾ (بتعليل تسبيح الله تعالى؛ لان من له ملك العوالم العليا والعالم الدنيوي حقيقاً بان يعرف الناس صفات كماله)^(٢٨)، وكذلك ليبنى عليه ما بعده من التصرف في الموجودات القابلة للحياة والموت في الدنيا وكذلك ما دلت عليه الآيات بعدها من إيلاج الليل بالنهار والنهار بالليل وإحاطة علمه بما ينزل من السماء وما يعرج فيها وما يلج في الأرض وما يخرج منها وو... أما في الموطن الثاني فبنى عليه ان أمور تلك الموجودات التي يتصرف فيها وحده راجعة إليه وحده، وأيضاً فانه لما تقدم هذه الجملة الآية التي ذكر فيها خلق السموات والأرض فهو الصانع سبحانه (والصانع قد لا يكون ملكاً فذكر انه الصانع وأنه الملك حصراً فلا ملك سواه وان الأمور ترجع إليه وحده وان ملكه ممتد بعد انقضاء الدنيا وان الأمور ترجع إليه في الآخرة كما هي في الدنيا)^(٢٩).

وهكذا ترى تناغم الهدفين في المقدمة للوصول إلى النتيجة المرجوة، علاوة على دلالة تلك العناصر في سياقاتها الخاصة، والخلاصة انه (لما كان الإيمان أساساً، والإنفاق وجهاً ظاهراً ورأساً فكانت - أي آيات المقدمة - جامعا بين الأساس الحامل الخفي، والوجه الظاهر الكامل البهي)^(٣٠).

- **المقطع الثاني...** امتاز هذا المقطع بتكرار عناصر السبك المعجمي بشكل ملفت للنظر ولاسيما لفظ (الإنفاق) نفسه ﴿أْمُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا...﴾، ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾.

فتكرار هذا اللفظ بعينه (أنفقوا) ذي الدلالة المباشرة على موضوع النص له مغزاه الفني في بناء هذا المقطع وبناء النص كله إذ ان ما سيأتي من مقاطع تابعة لهذا المقطع مبنية عليه. وقد تضافرت مع هذا العنصر عناصر أخرى لتكثيف الدلالة وتنويعها، ومن هذه العناصر قوله تعالى في تفسير (ما) الموصولة الدالة على المال ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ ووصف أموال الخلائق في الدنيا بأنها ﴿مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وعبر عن الإنفاق منها بقوله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ولا يخفى على القارئ الدور الذي تؤديه هذه العناصر في ضمان استمرارية النص وتماسكه، كما لا يخفى عليه ما لهذه العناصر من قدرة على التفاعل مع مفردات النسق اللغوي الذي وردت فيه فهي تعمل كعناصر تفصيل جزئيات موضوع المقطع وتحديد اتجاه معناه بما يتلائم وفكرة النص العامة من جهة، وانفتاح النص إلى آفاق واسعة تمتد بامتداد الماضي السحيق ولتذهب إلى ابعد من هذا المستقبل القريب... إلى مستقبل غيبي في عالم الآخرة وان كنا نعيش الدنيا ساعة القراءة، معرجة على كل وقائع هذا الكون الفسيح. وانظر الان كيف استهل هذا المقطع ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ وتمعن في الأمرين (امنوا - وأنفقوا) فهما استمرار لما تم تقريره في المقطع الأول من الهدف العام (الإيمان بالله) والهدف الخاص (قصر الملك على الله ﷻ) فهو التنامي العضوي للموضوعات ودخول مباشر في الغرض وهذا الاستئناف الذي بدئ به المقطع (استئناف وقع موقع النتيجة بعد الاستدلال ... فلا جرم تهيأ المقام لإبلاغهم التذكير بالإيمان به... والإنفاق الذي يدعو إليه الإيمان بعد حصول الإيمان)⁽³¹⁾، وبرز في هذا الاستهلال عنصر مهم هو ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ ف(ما) الموصولة هذه تدل على المال المطلوب الإنفاق منه وعبر عنه بما الموصولة بقصد إبراز هذا العنصر (مستخلفين فيه) وهي جملة تفسير الموصول، ودلالة هذا العنصر المعجمي تتمثل بتتبع المعنى الذي تقدم في قصر الملك على الله تعالى وحده إذ انه لما بينت جملتنا (له ملك السموات والأرض) ان الملك لله وحده وانه لا ملك لأحد على الحقيقة، ربما انقدح في ذهن القارئ سؤال ملح هو: ما طبيعة علاقتنا إذن بالمال الذي نملكه نحن؟ ولو جاء في هذه الآية (وأنفقوا من أموالكم) كما ورد في سياقات أخرى نسب فيها المال إلى الخلق ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فلو جاء هنا بنسبة المال إلى الخلق لأحس القارئ بنوع من التناقض إذ كيف يكون الملك لله وحده ثم يقول أنفقوا من أموالكم. والسياق هنا حسم قضية المعنى بان عبر بقوله ﴿مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ فأزال ذلك الشعور بالتناقض وقدم معنى جديدا بيّن فيه حقيقة ملكية الخلق للمال المتمثلة في وظيفة الاستخلاف ... استخلاف الخلق في التصرف بالمال الذي جعله الله بين أيديهم ومكنهم من التصرف فيه، فهذان دوران قام بهما هذا العنصر، وله ادوار أخرى في هذا السياق، منها الدلالية الشعورية التي أوحى بها لفظ (مستخلفين فيه) إذ وظفت كباعث

للمخاطبين يحثهم على الإنفاق، وهذه الدلالة الشعورية تمثلت في وجوه من المعنى فالزخمشري يرى ان دلالة هذا اللفظ (تعني أنّ الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما مولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي أموالكم في الحقيقة وما انتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب)^(٣٢)، فهي رسالة شعورية تحاكي شح النفس تقول (أنفقوا منها في حقوق الله وَلْيَهْنُ عَلَيْكُمْ الْإِنْفَاقُ مِنْهَا كَمَا يَهْوَى عَلَى الرَّجُلِ الْإِنْفَاقُ مِنْ مَالٍ غَيْرِهِ إِذَا إِذْنٌ لَهُ فِيهِ)^(٣٣)، وذهب الإمام برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ) إلى التماس وجه آخر لهذه الدلالة الشعورية مفاده (إن الله تعالى جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم من توريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفقوا بالإنفاق منها أنفسكم)^(٣٤).

أما باقي المفردات والوقائع التي وردت في هذا المقطع فاترك الحديث عنها إلى مبحث قادم يعالج قضية التماسك بين وقائع النص بعضها مع بعض وبينها وبين الفكرة المركزية.

- **المقطع الثالث..** في هذا المقطع ينتقل السياق بالقاريء إلى عالم المستقبل الغيبي.. إلى مشهدين من مشاهد القيامة: مشهد المؤمنين وهم يمشون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يهتفون بدعاء الراغب الراجي وتهتف بهم الملائكة بالبشرى ﴿بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، ومشهد المنافقين وهم يتعثرون في ظلمات نفاقهم يريدون للحاق بالمؤمنين يقولون ﴿انظُرُونَا تَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ فيفصل بين الفريقين بسور له باب يرى منه أصحاب كل فريق ما فيه الفريق الآخر.

واللافت للنظر في هذا السياق أنّ القاريء لا يجد -لأول وهلة- وجه مناسبة أو رابطاً بين هذا المقطع وبين فكرة النص العامة (الإنفاق) إلا أن من يمعن النظر يجد عنصراً معجمياً يبرز في ختام الحديث عن المشهدين هو لفظ (فدية) في قوله: ﴿قَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ والحديث مع المنافقين.

وقد تضافرت مع هذا العنصر عناصر أخرى لغوية جعلت لفظ (فدية) يوجه معنى هذا المقطع ومضمونه نحو قضية الإنفاق وهذه العناصر تمثلت بلفظ (يوم - اليوم - فالليوم)، إذ قد ابتداء كل مشهد بهذا اللفظ ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ...﴾، ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا تَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ...﴾، ﴿قَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ...﴾، فلفظ اليوم في بدء كل مشهد جاء غير معرف بـ (أل) والمراد بهما نفس اليوم، إذ ان قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ...﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بدلا مطابقا إذ اليوم هو عين اليوم في قوله ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٣٥)، ثم جاء بعدها قوله: ﴿قَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ فقوله (فالليوم) عرف بـ(أل) وهذه (أل) العهدية ومعناه: ففي هذا اليوم الذي

تقدم ذكره (يوم ترى المؤمنين، يوم يقول المنافقين) يقال للمنافقين ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ فقد ارتبط موضوع المشهدين فنيا بهذه المفردة (الفدية)، والفدية (من قولهم فداه يفديه فداء، وافتدى به وفداه: أعطى شيئا فأنقذه)^(٣٦)، وكأن المعنى: انه لما تكرر في السورة ذكر الإنفاق والدعوة إليه وذكر القرض الحسن والبخل والذين يأمرهم به قال ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ وقد كان بإمكانكم أن تفدوا أنفسكم في الدنيا بالإنفاق في سبيل الله فلم تفعلوا، و(الظاهران الفدية ههنا تعني المال، وان كانت الفدية عامة في كل ما يفدى به فقد قال تعالى ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، غير إن الذي يرجح معنى المال قوله (لا يؤخذ) ولم يقل (لا تقبل) والذي يؤخذ هو المال وهو المناسب لجو السورة وما شاع فيها من ذكر للإنفاق والقرض الحسن)^(٣٧)، فالقارئ أحس الآن إن لفظ الفدية وجه مضمون المقطع إلى التساوق مع قضية الإنفاق، فهي حكاية ومقارنة بين مؤمن صادق وبين منافق ادعى الإيمان دعوى ظاهرة ولم يكن الإيمان حقيقة نفسه، والتتابع في السياق يفيد بان هذا هو حال المؤمنين المتصدقين مقارنة بحال المنافقين الذين فتتوا أنفسهم فأسرتهم اللذات والشهوات الشخصية، وأجلو التوبة وارتابوا في الله وفي وعده، وغرتهم الحياة الدنيا، والسياق مليء بألفاظ وإيحاءات ودلالات العطاء والإنفاق من قبل المؤمنين، والبخل والشح والمنع من قبل المنافقين ولفظ (نقتبس) في قوله ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ يذهب بالخيال إلى مشهد الفقير الذي يطلب الصدقة، وهو يطلب شيئا صغيرا لن يضر صاحب المال إذا أنفقه ولن يؤثر في حجم المال أو صاحب المال الذي يرفض ان يقتبس احد من ماله شيئا، ويتمنع هو أن يخرج الشيء اليسير من عنده، انه يمنع ما ينفع المحتاج ولا يضره هو، فهم في مقابل ذلك يمنعون يوم القيامة من ان يقتبسوا نورا يمشون به ولن يضر نور اقتبسوه أصحاب الإيمان إلا أنه الجزاء من جنس العمل.

وحيثما لا يقال لهم في هذا الموقف شيئا، ولا يذكرون بشيء من وسائل النجاة إلا الفدية فانه يعطي إشارة إلى أن المخاطب بهذا الكلام يمكنه أن يفكر أو يتصور أن الفدية ودفع الأموال في سبيل الله يمكن أن ينجيه وينقذه من هول ذلك المشهد وعذاب ذلك اليوم، وهذه طريقة تفكير البخلاء والممسكين إذا أحاطت بهم المصائب، فبعضهم يحسب أن كل مشكلة يمكن أن تحلها الأموال وكل مصيبة يمكن النجاة منها بدفع الأموال، وذكر الفدية في سياق خطاب المنافقين دليل على أنهم قوم بخلاء سئلوا المال من قبل فمعهه فاليوم لا يسألونه ولن ينفعمهم ولعل (إقحام كلمة (فاليوم) لتذكيرهم بما كانوا يضمرونه في الدنيا حيث ينفقون مع المؤمنين رياء أو تقية)^(٣٨).

- **المقطع الرابع...** تضمن هذا المقطع ضرب المثل للحياة الدنيا التي تتسبب زينتها وزخارفها بالبخل وترك الإنفاق، ثم التعقيب بالتقرير على أن الآخرة خير من هذه الحياة استتبع بحثهم على المسابقة إليها، وقرر أيضا أن المصائب على النفس البشرية ونقص الأموال والأولاد

أمر مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ من قبل خلق النفس ذاتها، وعلل حدوث هذه المصائب بجعلها دواء ليوافق حال النفس البشرية بين الحزن والأسى وبين الفرح المفرط، لما يخسره أو يكسبه من متع هذه الحياة .

ولا يخفى على القارئ شيوع عناصر معجمية تربط المقطع بفكرة النص وتحقق التماسك النصي. ولا يظن أيضا إن أحدا سيختلف على أنّ عنوان هذا المقطع (أنفقوا في سبيل الله). ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾، فقد أجمل المثل حقيقة ما يعيشه الناس في هذه الحياة -من جهة تعلقهم بالمال والزينة- وقد رتب هذه الأشياء بحسب ترتيبها في حياة الناس مُبَدِّئٌ باللعب واللهو منتهيها بالجد. فبدأ باللعب: وهو ما يقع في دور الطفولة والصباء، وهذا هو الأصل. ثم ذكر اللهو: وهو ما يكون في دور الفتوة والشباب، واللهو اعم من اللعب فاللهو يقع من الصغير والكبير. ثم ذكر الزينة: وهو مقصد الشباب والنساء في دور بداية اكتمال أنوثتهن. وذكر بعدها التفاخر: وهو أكثر ما يكون في شأن الرجال فيفتخرون بمآثر أفعالهم وأحسابهم وأنسابهم ومآثر آبائهم وأجدادهم. ثم يأتي بعد ذلك دور التكاثر في الأموال والأولاد: وهو التباري في جمعها وهو المقصد الأهم لهم في الحياة إذ بالمال والأولاد تدوم الحياة وبهما ينشغل الناس وفيهما يجدون، وقدم الأموال على الأولاد؛ لان التكاثر في الأموال أكثر والمال هو المقصود في النص أصلا^(٣٩)، وبينما يجد القارئ هذا التفصيل للحياة الدنيا في مثل سورة الحديد، يجده مجملا في سورة محمد ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ [محمد ٣٦] وكذلك يجده مجملا في سورة العنكبوت ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فاقصر السياق فيهما على ذكر اللعب واللهو؛ وذلك لان ما ذكر في آية الحديد من الزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد يندرج تحت اللهو، ولكن آية الحديد ذكر فيها ذلك التفصيل ليناسب التفصيل الذي ذكره في التعقيب الذي أردف بالمثل وذكر فيه عاقبة الحياة الدنيا وفصله بإسهاب على خلاف ما ورد في سورة محمد والعنكبوت إذ أجمل وصف الحياة ولم يعقب عليه بشي يتعلق بها وإنما ذكر الآخرة وأمورا أخرى لا تتعلق بوصف الحياة^(٤٠)، وما ذلك إلا لان التفصيل مقصود هنا لتعلق موضوع النص بالإنفاق والحث عليه فكان لا بد من هذا الحشد الفني وهذا الإطناب لتقرير هذا المعنى. ومن أجمل المواطن التي يظهر فيها تفاعل تلك العناصر المعجمية مع العناصر اللغوية الأخرى في النص وفي السياق الخاص الذي ترد فيه أيضا ما جاء في التعقيب على المثل من قوله تعالى ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ فعبّر بفعل الأمر

(سابقوا) بينما جاء في آل عمران ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ...﴾ [آل عمران: ١٣٣] فعبر بفعل الأمر (سارعوا) وسبب اختيار (سابقوا-سارعوا) في كل من السورتين هو المعنى اللازم الذي يرمي إليه النص، إذ لما ورد المثل في سورة الحديد يحكي مسابقة الناس في أمور الدنيا من اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد، إذ اللعب قد تكون فيه مسابقة والزينة قد تكون فيها مسابقة والتفاخر والتكاثر إنما هما مسابقة وتبار في تكثير الأموال والأولاد فناسب أن يقول (سابقوا إلى مغفرة) فنبه على ما يحق فيه المسابقة، أما في آل عمران فانه لم يتقدم ما يدل على المسابقة وإنما تقدم فيها النهي عن أكل الربا والأمر باتقاء النار والأمر بطاعة الله والرسول فناسب الأمر بالمسارعة وعدم التواني في تنفيذ تلك الأوامر والنواهي. فلا يخفى ما حققته هذه العناصر المعجمية وعناصر أخرى كلفظ (البخل، والأمر به) ولفظ (الغني) وما أشبهه، من تماسك نصي وتواصل واستمرار للمعنى في كل مقاطع النص.

- **المقطع الخامس** .. وهو المقطع الأخير في النص وقد ورد فيه لفظ (الحديد) الذي هو عنوان النص والذي توصلنا من خلال رمزته إلى فكرة النص وموضوعه وقد تقدمت الإشارة إلى معناه في سياق من الدلالة على نصره الله ورسوله ودينه برمزته على آلة الحرب التي يعمد السياق إلى حث الناس على تحصيلها من خلال الإنفاق في شرائها وتجهيزها وإعداد الجيوش^(٤١).

وقد ورد في هذا المقطع ألفاظ تتعلق بموضوع النص من خلال دلالتها المعجمية كلفظ (الميزان - القسط - منافع للناس) فالميزان كما جاء في التحرير والتنوير (الميزان: مستعار للعدل بين الناس في إعطاء حقوقهم؛ لأن ما يقتضيه الميزان وجود طرفين يراد معرفة تكافئهما... وهذا الميزان تبينه كتب الرسل فذكره بخصوصه للاهتمام بأمره لأنه وسيلة انتظام أمور البشر)^(٤٢)، وعلل إنزال الميزان ﴿لِيُقَوِّمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ والقسط (الحصة والنصيب: يقال: اخذ كل واحد من الشركاء قسطه، أي حصته، وكل مقدار فهو قسط في المال وغيره، والقسط بالكسر: العدل، والإقساط: العدل في القسمة والحكم)^(٤٣)، ولا تخفى علاقة المشابهة والسببية بين الميزان والقسط، وبين المال وما يتعلق به من قضية الإنفاق. وختم المقطع بما يناسب موضوع النص، فان ما ذكره من إيتاء الكفلين من الرحمة والمغفرة وجعل النور ووهب المال والرزق لأحد إنما يكون بالإيمان بالله وبالرسول الخاتم ولا يكون بغيره وانه ما لم يؤمن بمحمد ﷺ فهو محروم ليس له شيء في ذلك ولا ينفعه إيمانه بمن قبله من الرسل حتى يؤمن بمحمد ﷺ وليعلم أهل الكتاب أنهم لا يستطيعون الحصول على شيء من فضل الله فيمنعونه عن غيرهم أو يظنون ان فضل

الله -ومنه المال- منحصر فيهم، وإنما الفضل بيد الله سبحانه يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم^(٤٤).

• قراءة في وقائع النص ..

تقدم الحديث عن وقائع توظف في النص القرآني وتتساقق في بنيتها الشكلية والدلالية مع هدف النص وفكرته المركزية، منسجمة مع طابع النص من خلال أدوات التماسك النصي ومن بينها عنصر السبك المعجمي، إذ تظهر في تلك البنى الشكلية بعض العناصر التي توجه معناها بما يضمن انسجامها مع بناء النص الكلي شكلا ودلالة. وقد تمثلت الوقائع في سورة الحديد بقضايا متعددة اذكر منها ما يلي:

• الحشد الفني.. وفكرة النص .

إن القرآن حشد فني عظيم متكامل ... وفيه العلاقات الفنية التي يراعيها القرآن في السورة نفسها أو السور الأخرى^(٤٥)، والتعبير في السورة القرآنية يعمد أحيانا إلى تناول موضوع ما فيكرر الأساليب في عرضه ويكثر من تناوله في سور شتى ويحشد له من أفانين القول بحيث لا يدع شاردة ولا واردة تتعلق به إلا ويحكيها بالصورة الفنية والاستعارات والتشبيهات والكنائيات والقصص والإيحاء والإيماء والإشارة، ويبدو ذلك جليا في سورة الحديد إذ تعددت طرق الحديث عن المؤثرات والبواعث والإيحاءات الحادثة على الإنفاق والبذل في سبيل الله. فبعد الأمر بالإيمان وتقديم البواعث عليه من خلال الحشد له من صفات الرب وخصائص ربوبيته الفاعلة المبدعة لكل شيء المحيطة بكل شيء المهيمنة على كل شيء العليمة المالكة لكل شيء، بعد كل هذا الحشد يحشد إيقاعات ومؤثرات ولمسات أخرى موحية باعثة على الإنفاق والبذل والتضحية^(٤٦)، ومن هذه المؤثرات ما يأتي:

١- قوله تعالى ﴿أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ فهم (يدعون إلى الإنفاق، ومع الدعوة لمسة موحية، فهم لا ينفقون من عند أنفسهم إنما ينفقون مما استخلفهم الله فيه من ملكه، وهو الذي ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ... ثم تقوم بدورها في استثارة الخجل والحياء من الله وهو المالك الذي استخلفهم وأعطاهم)^(٤٧)، جاء في الكشف: (يعني ان الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما مولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما انتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من

مال غيره إذا أذن له فيه^(٤٨)، وقال ابن عاشور (وجيء بالموصول في قوله ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ﴾ دون ان يقول: وأنفقوا من أموالكم أو مما رزقكم الله، لما في صلة الموصول من التنبيه على غفلة السامعين عن كون المال لله جعل الناس كالخلائف عنه في التصرف فيه مدة ما)^(٤٩)، وقد حملت الآية مؤثرا آخر وباعثا جديدا تمثل بالوعد ممن لا يخلف وعده لمن امن وانفق بالأجر الكريم المضاعف ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. عناصر التماسك في الآية تمثلت فيما أشارت إليه لفظة «أنفقوا مما جعلناكم» وهو المال، وهو العنصر المعجمي الذي تكرر الحديث عنه في عموم السورة. وكرر ذلك في قوله «فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا» وحذف المفعول لدلالة السياق عليه، وهو المال، وذكر ما يقابله وهو الأجر الكبير.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ وفي الآية تعبير مؤثر ولفظ موح وهو قوله ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلفظ ميراث يستدعي معنى مصاحبا يوحي بموت جميع الناس مخلفين وراءهم كل ما يملكون من أموال وأطيان فلا يبقى إلا الله الوارث الحي، قال الزمخشري: (وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم، وهو من ابلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله)^(٥٠).

٣- وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أُولَئِكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ في هذه الآية وظفت واقعة من وقائع النص تمثلت بحدث كبير حدث في تاريخ الإسلام وهو فتح مكة، ووجه توظيفه في النص تمثل بان جعله حدا فاصلا في الزمن بين الإسلام ودولته وقوته وأنصاره بعد الفتح وبين حاله من ضعفه وقلة الأنصار قبله فهو نقطة فصل زمني بين (الذي ينفق ويقاتل والعقيدة مطاردة والأنصار قلة وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان ولا رخاء، وبين الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة والأنصار كثرة والنصر والغلبة والفوز قريبة المنال)^(٥١)، واغلب أهل التفسير يتحدث عن فضل ومنزلة السابقين وعلو شأنهم ثم لا يعولون على المعنى اللازم الذي ترمي إليه الآية، ففي هذا التعبير معنى يستلزم مبادرة الناس وحثهم عليها لينفقوا المال ويكثروا من الإنفاق منه لعلهم يلحقون بدرجة أولئك الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، إذ ان القارئ لهذا النص مخاطب بهذه الآية وهي مع إفادتها فضل السابقين وعلو درجتهم إلا أنها ترمي إلى إسراع القارئ وحثه على الإسراع والمبادرة إلى الإنفاق ليحلق ركب السابقين. هنا عقد موازنة بين فريقين، وكان عنصر هذه الموازنة عنصر السبك المعجمي، وهو المال، متمثلا بصاحبه الذي عبر عنه بمن أنفق قبل الفتح،

ويقابله الشخص الذي أفق بعد الفتح، باختلاف الأجر بينهما وإن كانوا في أصل الأجر سواء. فقد كان المال الذي هو عنصر سبك معجي، حاضرا بصور مختلفة في كثير من آيات النص.

٤- وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وهذا تعبير مؤثر يشحذ الهمم ويدفع بالمؤمن إلى ارتقاء ذلك التصور البديع اذا ان (مجرد تصور المسلم انه هو الفقير الضئيل يقرض ربه، كفيل بان يطير به إلى البذل طيرانا، ان الناس ليتسابقون إلى إقراض الثري المليء منهم وهم كلهم فقراء- لان السداد مضمون ولهم الاعتزاز بان اقرضوا ذلك الثري المليء، فكيف إذا كانوا يقرضون الغني الحميد... ويعدهم -الله- على القرض الحسن الخالص له المجرى من كل تلفت إلى سواه يعدهم عليه الضعف بالمقدار والأجر الكريم بعد ذلك من عند الله)^(٥٢)، قال القاسمي في هذا التعبير (ندب بليغ من الله تعالى إلى الإنفاق في سبيله بعد الأمر به والتوبيخ على تركه... وهو استعارة تبعية تصريحية أو استعارة تمثيلية)^(٥٣) وان من يستحضر في ذهنه ان إنفاقه من المال إنما هو قرض لله سبحانه ولا يشك لحظة ان جزاءه سيكون على أتم ما يوفي صادق وعده ويوفي من اقرضه بأحسن مما اقرض، فلا بد ان يقوم في ذهنه ان يكون أول المبادرين إلى البذل في سبيل الله طمعا بما عند الله وتصديقا لوعده ورضا بما يعده الله له في الآخرة. وهنا عبر عن عنصر السبك المعجمي بمفردة «يقرض» والمعلوم أن ذهن القارئ يرتبط فيه لفظة «القرض» بالمال الذي هو عنصر السبك الذي أسهم في تنامي موضوع النص عضويا وترابطه من خلال الحديث عن كل ما يتعلق بهذا العنصر.

٥- ومن المؤثرات الموحية التي حشدها النص لهذه الفكرة ذلك المشهد الذي يستجيش القلوب، المشهد القرآني الذي يحييه الحوار بين الفريقين في ذلك الموقف العظيم موقف الحشر يوم القيامة، فالمؤمنون والمؤمنات يمشون ويسعى إشعاع لطيف هادئ، نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم وبأيمانهم، فهذه الشخصوس الإنسانية قد أشرقت وأضاءت وأشعت نورا يمتد منها فيرى أمامها وعن يمينها، وبازائهم فئة أخرى تسعى وراءهم وتتشبث بأذيالهم، أولئك هم المنافقين والمنافقات في الظلام وفي مهانة وإهمال فقد فتتوا أنفسهم وغرتم متع الحياة الدنيا، فينادون المؤمنين ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ فيقال لهم ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ارجعوا إلى الدنيا إلى ما كنتم تعلمون ارجعوا فالنور يلتبس هناك من العمل في الدنيا إذ هناك يمكن ان تقفوا أنفسكم بالمال وهناك حيث ينفعكم الإنفاق والبذل ويقبل منكم الفداء، وحري بمن خوطب بهذه الآيات ان يسرع إلى

فداء نفسه ببذل المال والإنفاق في سبيل الله إذ ما يزال في الحياة ولم يصل بعد إلى ذلك الموقف الذي لا ينفع فيه الندم وتمني العودة لتقديم الفداء. وهنا أيضا يعقد موازنة بين فريقين: فريق سيدخلون الجنة، وفريق بينهم وبينها حجاب، وكان عنصر المحاوره هو الإنفاق المتربط عضويا بقضية المال ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾، فعبر عن المال بالفدية، وهو عنصر السبك الذي كان حاضرا في المحاوره بين المنافقين والمؤمنين.

٦- ومن المؤثرات أيضا ما تقدم الحديث عنه من ضرب المثل للحياة الدنيا التي هي سبب تعلق قلوب الخلق بالمتاع والزينة والمال، وهي مظنة البخل والشح فقلل من شأنها وعبر عن سرعة زوالها بالزرع الجميل المخضر الذي ما يفتأ ان يصير حطاما وتعلقها عذابا شديدا في الآخرة، ثم ذكر ما قوبلت به من المسارعة إلى الآخرة التي هي خير وأبقى وانه حري بهم ان يسارعوا ويتسابقوا إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض.

٧- قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)﴾ في هذه الآيات الكريمات يضع القرآن الكريم قواعد عامة يبني عليها فروعا وموضوعات خاصة فان كل ما يصيب الإنسان وما يقع في الأرض من مصائب فهي خاضعة لقاعدة القضاء والقدر فكل المصائب مكتوبة عند الله في اللوح المحفوظ من قبل ان تقع المصيبة نفسها أو من قبل ان يخلق الله النفس ذاتها فهو اذن (القضاء والقدر وان كل شيء مدون قبل وقوعه وان الأمور لا تجري اعتباطا دون علم مسبق مما يدل على بالغ حكمته سبحانه)^(٥٤)، ولما ذكر هذه القاعدة وثبتها عقب السياق بآية خصت موضوعا محددًا وربطته بقضية القضاء والقدر يتبين ذلك بتعليل ما تقدم ذكره من كتابة كل مصيبة في كتاب بعدم الأسى على ما فات من نفع يرتجيه كل إنسان ومنه المال، وعدم الفرح على ما يأتي من المنافع وفيها المال أيضا وختم الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وشرح أوصافه بالآية التي بعدها فقال: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)﴾ ولا يخفى ما في لفظ (يبخلون) من علاقة معجمية بالإنفاق والمال وهي من المصاحبة اللغوية المتمثلة بالإمساك عن إخراج المال وإنفاقه وترك بذله في سبيل الله، وإيراد أوصاف المختال الفخور بوجه المعنى في هذه الآيات إلى اتساقها وموضوع النص وفكرة الإنفاق فيه، وهذا من المؤثرات التي حشدها النص لخدمة الفكرة وختمها بمؤثر جديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فان من يبخل ويتولى عن أداء حقوق الله في المال فانه لن يضر

إلا نفسه فان الله غني عن العالمين حميد في ذاته وصفاته فلا يحتاج إلى خلقه فهو خالقهم وخالق أموالهم وهو مالكم جميعا. الذي يجعل هذا المقطع متناسقا مع المقاطع الأخرى هو عنصر السبك الذي عبر عنه بالبخل، وأمر الناس بالبخل، ومعلوم أن البخل يرتبط ذهنيا بالبخل بالمال، فالبخل هو الذي جعله الله في هذا المقطع محورا للحديث.

• وجه التمثيل ..

من الوقائع التي وظفها النص خدمة لقضية الإنفاق في سورة الحديد تمثيل قساوة القلوب وحياتها بإحياء الأرض بعد موتها من غير الإشارة إلى وجه التشبيه بل ترك السياق للقارئ ليتوصل إليه من خلال القراءة والتحليل إذ قد يجد فيه أكثر من وجه .

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)﴾.

ففي الآية الأولى بيان لحال قلوب المؤمنين المخاطبين، فلا هي بلغت درجة القساوة إذ في الآية نهي لهم ان يكونوا مثل أهل الكتاب الذين قست قلوبهم، ولاهي بلغت درجة الحياة لكاملة إذ في الآية حث لهم على بلوغ درجة الخشوع، فهي اذن في منزلة بين الدرجتين فيها إيمان وحياء وفيها غفلة وخمول، ثم جيء بالآية الثانية بعدها مفصولة عن الأولى فلا رابط شكليا يربط بينهما وهذا من مواطن الفصل الذي يدرسه أهل البلاغة في باب (الفصل والوصل) فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ففي الآية كمال الانقطاع عما قبلها إذ جاءت إشارة من بعيد إلى سبب حياة القلوب وبواعث إحيائها وخشوعها، فكما ان الله تعالى يحيي الأرض الميتة بالغيث يبعثه إليها من السماء، فكذلك هناك شيء مُثَّلَ له بالغيث يحيي القلوب وبيعتها من جديد وبيعتها الإيمان فيها بعد خموله وضعفه، ذلك الشيء لم يرد ذكره في النص بل للقارئ ان يبحث عنه، ويمكن له ان يصل إلى وجهين للتمثيل من السياق، أولهما: ان في الآية تمثيلا لأثر الذكر والقران في إحياء القلوب وترقيقها بعد قساوتها أو غفلتها (فانه يحييها كما يحيي الغيث الأرض)^(٥٥)، وجاء في روح المعاني أن الآية (تمثيل ذكر استطرادا لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض الميت بالغيث، للترغيب في خشوع والتحذير من القساوة)^(٥٦)، وهذا وجه معتبر يؤيده ورود لفظ الذكر والقران في الآية الأولى ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾، ولسائل ان يسأل: لكن أين ما تتحدث عنه من ارتباط هذه الواقعة بموضوع النص وفكرته؟ والجواب يظهر من خلال قراءة الآية الثالثة من هذه الآيات ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ فمجيء هذه الآية مفصولة أيضا عما قبلها له مغزاه، والتعقيب بها يؤسس لعلاقة

بينها وبين التي قبلها، والى هذه العلاقة أشار البقاعي في نظم الدرر قال: (ولما كانت الصدقة كالبذر الذي تقدم ان الله يحييه وبضاعفه أضعافا كثيرة على حسب زكاة الأرض، قال منتجا مما مضى ما يعرف ان من أعظم ما دل على الخشوع المحثوث عليه والبعد عن حال الذين أوتوا الكتاب في القسوة، الصدقة بالإنفاق الذي قرنه بالإيمان)^(٥٧)، فهو يريد ان يقول: ان القلوب تحيي بالصدقات كما تحيي الأرض الميتة بالغيث، ولا ضير ان تجمع الآية هذين الوجهين للتمثيل فتكون حياة القلوب بالذكر والتلاوة وهو متعلق بالهدف العام للنص وهو الإيمان وتكون حياتها أيضا بالتصدق والإنفاق وهو متعلق بالهدف الخاص للنص والواقع يؤيدهما.

• ذكر أهل الكتاب ..

ورد ذكر أهل الكتاب في السورة أكثر من مرة، ووجه ذكرهم الذي ينسجم وفكرة النص يكمن في الآتي: لما ذكر النص تلك الفئة الممتازة الفذة من المؤمنين السابقين من المهاجرين والأنصار الذين ضربوا أروع المثل للبشرية في تحقيق حقيقة الإيمان في النفوس وفي البذل والتضحية والعطاء من الأرواح والأموال في خلوص نادر وتجرد كامل، ذكر فئة أخرى ليست في هذا المستوى الإيماني الخالص الرفيع ولاسيما بعد فتح مكة عندما ظهر الإسلام ودخل فيه من الناس أفواج كثيرة وكان بينهم من لم يدركوا حقيقة الإيمان الكبيرة وما ينبعث عنها من بذل الأرواح والأموال وشقت عليهم التكاليف، وذكر فيهم أيضا طائفة أخرى لم تؤمن وأظهرت الإسلام، تلك هي طائفة المنافقين المختلطة غير المتميزة في المجتمع، وكان لا بد من ان يشير إلى بقية فئات المجتمع وبيان حالهم في قضية الإيمان وما يترتب عليه من تكاليف من بينها البذل والعطاء والصدقات^(٥٨)، فذكر من بقي في الجزيرة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ويشير النص إلى أحوالهم ومواقفهم السابقة والحاضرة في ذلك الأوان، كالإشارة إلى قسوة قلوبهم عند تحذير المؤمنين ان يكونوا «كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» وهي إشارة إلى اليهود خاصة في الغالب، وكالإشارة إلى النصارى قبل نهاية السورة في قوله «ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»، وهذا الورد جاء في سياق الحديث عن إنزال الكتاب والميزان والحديد لمعرفة من ينصر الله ورسله بالإنفاق والجهاد فكان حال أكثر الأتباع الخذلان «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»، ولا يخفى تكرار جملة (وكثير منهم فاسقون) الواصفة أتباع الرسل أو أكثرهم، الخارجين عن طاعتهم الناكسين عن نصرتهم وفيه تحذير للمؤمنين من حالهم ان يكونوا مثلهم، وان يتداركوا أنفسهم بإحياء قلوبهم بالذكر والإنفاق وبنصرة الرسول ودينه

ومنهجه. كما قد ورد ذكر أهل الكتاب في آخر آية في النص ﴿لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، فقد اخبر بذلك من إعطاء الكافرين من الرحمة وجعل النور ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يستطيعون على شيء من فضل الله فيمنعونه من غيرهم أو يظنون ان فضل الله منحصر فيهم وإنما الفضل بيد الله سبحانه يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم^(٥٩).

• لفظ النور..

ورد لفظ النور في السورة ست مرات موزعة بين هدفي النص: الإيمان ← والإنفاق كالآتي^(٦٠):

- في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد ٩] من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.
- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد ١٢-١٣]. وهذا نور المنفقين المتصدقين يقابله ظلام الممسكين البخلاء.
- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد ١٩].
- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد ٢٨]، وفيما تقدم غنية عن التعليق.

الهوامش

التماسك النصي عنصر السبك المعجمي في سورة الحديد أمودجا
ر.د. عبد الناصر هاشو محمد الهيتي

- (١) ينظر: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، د. صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠، ٣٩/١ وما بعدها. وينظر النص والخطاب والإجزاء، روبرت دي بو جراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٣٢٧.
- (٢) ينظر: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، د. سعد مصلوح، بحث منشور في: الكتاب التذكري (عبد السلام هارون معلما ومؤلفا ومحققا)، جامعة الكويت، ١٩٨٩-١٩٩٠، ص ٢٠٧.
- (٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط ٢، ١٢٨/٧.
- (٤) معتزك الأقران في إعجاز القرآن، الإمام السيوطي، ضبط وتصحيح: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨، ٤٣/١. وينظر الإتيان، الإمام السيوطي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ٢٩٩/٣.
- (٥) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٤، وينظر: الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية في مصر، د. إيناس محمد حسين، الاسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ٧٤ وما بعدها.
- (٦) لسانيات النص: ص ٢٤.
- (٧) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجة، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٣، ١٠٢/٦.
- (٨) من أشكال الربط في القرآن الكريم، مجموعة مقالات، د. محمود فهمي حجازي، مركز اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٣١.
- (٩) دور الكلمة في اللغة، ترجمة: د. كمال بشير، المطبعة القومية القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٥٨.
- (١٠) ينظر: من أشكال الربط في القرآن: ١٣٨.
- (١١) ينظر: المصاحبة في التعبير اللغوي، د. محمد عبد العزيز، دار الفكر العربي، بيروت، ص ١١.
- (١٢) ينظر: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٣٣، وينظر: لسانيات النص: ص ١٣٠-١٣٢.
- (١٣) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٣٤.
- (١٤) ينظر: المصدر السابق.
- (١٥) علم لغة النص، ص ٩٩.
- (١٦) المصدر السابق، ص ١١٢، بتصريف يسير.
- (١٧) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، ع ١٦٤، القاهرة، ص ٢٦٦.
- (١٨) مدخل إلى لغة النص، روبرت دي بو جراند وآخرون، دار الكتب، نابلس، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٧١.
- (١٩) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٦٦.
- (٢٠) ينظر: علم لغة النص، ص ١١٦.
- (٢١) تفسير القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٢م، ٢٤/٧.

التماسك النصي عنصر السبك المعجمي في سورة الحديد أنموذجا
 د.د. عبد الناصر هاشم محمد الهيتي

- (٢٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ٢٧/٣٢٤-٣٢٥.
- (٢٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات السور، البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م، ٧/٤٣٢.
- (٢٤) على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، ٢٠٠٤م، ١/٢٤٦.
- (٢٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ٢٠٠٤م، ٦/٣٤٧٧.
- (٢٦) ينظر: نظم الدرر، ٧/٤٣٤.
- (٢٧) التحرير والتنوير، ٢٧/٣٢٤-٣٢٥.
- (٢٨) المصدر السابق، ٢٧/٣٢٤.
- (٢٩) على طريق التفسير البياني، ١/٢٤٥.
- (٣٠) نظم الدرر، ٧/٤٣٨.
- (٣١) التحرير والتنوير، ٢٧/٣٣٣.
- (٣٢) الكشاف، الزمخشري، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م، ٤/٤٧١.
- (٣٣) المصدر السابق، ٤/٤٧١.
- (٣٤) نظم الدرر، ٧/٤٣٩.
- (٣٥) التحرير والتنوير، ٢٧/٣٤٤، وينظر: على طريق التفسير البياني، ١/٢٥٧.
- (٣٦) القاموس المحيط، الفيوزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ٢٠٠٣م، مادة (فدى).
- (٣٧) على طريق التفسير البياني، ١/٢٦١. وينظر: نظم الدرر، ٧/٤٤٦.
- (٣٨) التحرير والتنوير، ٢٧/٣٥٠.
- (٣٩) ينظر: التفسير الكبير، ٢٩/٢٣٣-٢٣٤، وينظر: على طريق التفسير البياني، ١/٢٧٥، وينظر: نظم الدرر، ٧/٤٥٢.
- (٤٠) ينظر: على طريق التفسير البياني، ١/٢٧٦-٢٧٧، وينظر: التفسير الكبير، ٢٩/٢٣٤ وما بعدها.
- (٤١) ينظر: التفسير الكبير، ٢٩/٢٤٢.
- (٤٢) التحرير والتنوير، ٢٧/٤١٦.
- (٤٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت مادة (قسط).
- (٤٤) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٧/٤٢٧-٤٢٨، وينظر: على طريق التفسير البياني، ١/٣٠٢-٣٠٣.
- (٤٥) التعبير القرآني، د.فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، الاردن، ط٥، ٢٠٠٧م، ص/٢٥٢ (بتصرف يسير).
- (٤٦) ينظر: في ظلال القرآن ٦/٣٤٨٢-٣٤٨٣.
- (٤٧) المصدر السابق، ٦/٣٤٨٢.
- (٤٨) الكشاف، ٤/٤٧١، وينظر: نظم الدرر، ٧/٤٣٩.
- (٤٩) التحرير والتنوير، ٢٧/٣٣٤.
- (٥٠) الكشاف، ٤/٤٧٢، وينظر: التحرير والتنوير، ٢٧/٣٣٧-٢٢٨.
- (٥١) في ظلال القرآن، ٦/٣٤٨٤.

- (٥٢) في ظلال القرآن، ٣٤٨٥/٦، وينظر: الكشاف، ٤/٤٧٣.
(٥٣) تفسير القاسمي، ٣٠/٧.
(٥٤) على طريق التفسير البياني، ٢٨٦/١.
(٥٥) الكشاف، ٤/٤٧٥، وينظر: التفسير الكبير، ٢٩/٢٣١.
(٥٦) روح المعاني، الألوسي، إدارة المطبعة المنيرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٧/٢٧٨.
(٥٧) نظم الدرر، ٧/٤٤٩-٤٥٠.
(٥٨) ينظر: في ظلال القرآن، ٦/٣٤٧٦.
(٥٩) ينظر: على طريق التفسير البياني، ١/٣٠٦-٣٠٧.
(٦٠) ينظر: في ظلال القرآن، ٦/٣٤٧١ وما بعدها.

ثبت المصادر

- ١- الإتيان في علوم القرآن: الإمام السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م.
٢- الإيضاح في علوم البلاغة، الفزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق عبد المنعم خفاجة، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٣م.
٣- بلاغة الخطاب وعلم النص، د.صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة ع ١٦٤ع، القاهرة.
٤- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
٥- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الأردن ط ٥، ٢٠٠٧م.
٦- تفسير القاسمي «محاسن التأويل»، محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م.
٧- التفسير الكبير «مفاتيح الغيب»، الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، طهران ط ٢.
٨- الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية في مصر، د. إيناس محمد حسين، الاسكندرية، ٢٠٠٣م.
٩- دور الكلمة في اللغة أو لمن، ترجمة د. كمال بشير، المطبعة القومية، القاهرة ١٩٦٢م.
١٠- روح المعاني، محمود شكري الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، إدارة المطبعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١١- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، د. سعد مصلوح، بحث منشور في الكتاب التذكاري (عبد السلام هارون معلما ومؤلفا ومحققا)، جامعة الكويت، ١٩٨٩-١٩٩٠.

- ١٢- علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، د. صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ١٣- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
- ١٤- على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، ٢٠٠٤م.
- ١٥- في ظلال القرآن. سيد قطب (ت ١٩٦٦م)، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ٢٠٠٤م.
- ١٦- القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ٢٠٠٣م.
- ١٧- الكشف عن حقائق التنزيل، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.
- ١٨- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر بيروت، لبنان.
- ١٩- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.
- ٢٠- مدخل إلى علم لغة النص، روبرت دي بوغراندي واخرون، دار الكتب، نابلس، ط١، ١٩٩٢م.
- ٢١- مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ٢٢- المصاحبة في التعبير اللغوي، محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي بيروت، لبنان.
- ٢٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن، الإمام السيوطي (ت ٩١١هـ)، ضبط وتصحيح: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- ٢٤- من أشكال الربط في القرآن الكريم، مجموعة مقالات د. محمود فهمي حجازي، مركز اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ٢٥- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراندي، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٢٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المحمدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.